فصلنامه تحقیقات جدید در علوم انسانی
Human Sciences Research Journal
دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۲۹۰-۲۷۹
New Period 4, No 28, 2020, P 279-290
ISSN (2476-7018) شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸)

تجلیات الاغتراب فی شعر القتال الکلابی

م. د. کاظم خضیر القاضی

الملّخص

الاغتراب ظاهرة انسانیة (سایکو اجتماعیة) تقوم علی التنافر بین الذات والمجتمع او الذات والاخر، ترجع اسبابها الی عوامل مکانیة وزمانیة ودینیة وتنشأ عن ظروف قاهرة لمأسأة عاشها الفرد، او لتجربة ظرفیة سحریة یشعر معها الانسان بالانسلاخ والاستلاب وضعف القدرة علی التکیف والموائمة مع المجتمع، وقد یتبع هذا الاحساس کثیر من التخیلات والحدس المنعش والهذیان وغیرها من التداعیات التی وجدناها حاضرة بقوة فی اشعار القتال الکلابی وشعراء اخرین احاقت بهم دائرة التوحد والاغتراب. وعلی الرغم من شیوع ظاهرة الاغتراب فی الادب العربی لم تتجاوز التعریفات التی وضعت لها حدود الدلالات الغربیة المعاصرة والتی اختمر معضمها فی فضاء معرفی خاص له حیثیاته وبواعثه التی قد تتجانس مع الثقافة العربیة او تتنافر معها، الامر الذی یحتم علینا معاینة مفهوم الاغتراب فی الثقافة العربیة وتقصی دلالاته المختلفة، وقد اتخذنا من اشعار القتال الکلابی منطلقا لفهم ومعاینة تلک الظاهرة.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

Manifestation of alienation of kital el kalby

Kadheem khudheer Kadheem
PhD Literatur Ancient, Ministry of education, department of Thi-Qar education province

Abstract:

Alienation is a human phenomenon (Psycho social) based on dissonance between the self and society or the self and the other, due to spatial, temporal and religious factors and arise from the compelling circumstances of the tragedy experienced by the individual, or to experience a magical circumstantial with which human beings feel separation and alienation and the weak ability to adapt and adapt to society. This sense is followed by many imaginations, refreshing intuition, delirium and other repercussions that we have found strongly in the notice of al-qital alkulabi and other poets caught up in the circle of autism and alienation. In spite of the prevalence of the phenomenon of alienation in the Arab literature, the definitions that have been set for it have not exceeded the limits of the contemporary Western connotations, and most of them are brewed in a special knowledge space that has its own reasons and motives that may harmonize with or interfere with the Arab culture. Its various connotations, we have taken from the notice of al-qital alkulabi based on the understanding and preview of that phenomenon

توطئة:

الاغتراب ظاهرة إنسانية (سايكو اجتماعية) تقوم على التنافر بين الذات والمجتمع او الذات والاخر، ترجع اسبابها الى عوامل مكانية وزمانية ودينية* وتنشأ عن ظروف قاهرة لمأساة عاشها الفرد, أو لتجربة ظرفية سحرية يشعر معها الانسان بالانسلاخ والاستلاب وضعف القدرة على التكيف مع المجتمع(١) وقد يتبع هذا الاحساس كثير من التخيلات والحدس المنعش والهذيان وغيرها من التداعيات التى وجدناها حاضرة فى اشعار القتال الكلابى وغيره من الشعراء العرب الذين احاقت بهم دائرة التوحد والاغتراب كالشعراء الصعاليك والخلعاء وعنترة وطرفة بن العبد (٢) والكميت والطرماح وابى عبيدة بن قيس الرقيات وابو نؤاس وابى تمام والمتنبى والمعرى (٣) فالشعور بالاغتراب مترسخ ومتناه فى القدم والاتساع ولا يخص عصر معين او طائفة من الشعراء، فهى ظاهرة انسانية عامة، لها ما يميزها فى الادب العربى (۴) وعلى الرغم من شيوع هذه الظاهرة فى الادب العربى لم يتجاوز مفهوم الاغتراب حدود الدلالات الغربية المعاصرة التى اختمر معظمها فى فضاء معرفى خاص له حيثياته وبواعثه التى قد تتجانس مع الثقافة العربية او تتنافر معها، الامر الذى يحتم علينا معاينة مفهوم الاغتراب فى الثقافة الغربية وتقصى دلالاته المختلفة ليتسنى لنا تعبيد الطريق لهذه الدراسة.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

تحديدات اولية:

اولا: الاغتراب لغة واصلاحا:

اتفقت المعاجم العربية على ان الاغتراب هو البعد والنَّوى والغربة عن الوطن، ففى معجم العين: (الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عنا يغرب غرباً، أى تنحى، وأغربتُه وغرَّبته، أى نحيته، والغربة: النوى والبعد (۵) اما ابن منظور فيقول:(الغربُ: الذهاب والتنحى عن الناس، وقد غرب عنا، يغربُ، غربًا. . وغَربَ وأغرب وغرّبه وأغربَه أى نحَّاه، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب.)(۶) وكلمة غربة تقال فى الاغتراب عن الحال (۷)

و الاغتراب عاطفة تستولى على المرء فيعيش حالة من القلق والكآبة لشعوره بالبعد عمّا يرغب فيه .وقد تبرز هذه العاطفة فى شكلين أحدهما فى حالة الابتعاد عن ديار الأحبة، فيعبر المغترب (الشاعر) عن مشاعره بصور وأخيلة ومعانٍ تختلف جودة وعمقاً باختلاف الشخصية المبتَكِرة، والثانى فى حالة الشعور بأن العالم كله سجن أُقحِم فيه الانسان مرغما، فكبَّله بقيوده، وغمره بشروره وآلامه، فهو يحس بأنه غريب بين أهله، وقد شاع هذا النوع من الغربة فى أشعار الرومانسيين، وبلغ أوضح ملامحه فى أشعار المتصوفين كالحلاج، وابن الفارض، وابن عربى (۸) والاغتراب يتكون من ثلاث مراحل متصلة اتصالاً وثيقاً فالمرحلة الأولى تتكون نتيجة لوضع الفرد فى البناء الاجتماعى، ويتدخل وعى الفرد لوضعه فى تشكيل المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فتنعكس على تصرفه إنساناً مغترباً على وفق الخيارات المتاحة أمامه.)(۹)

ثانيا: المفهوم الاصطلاحى الفلسفى للاغتراب

يستمد مصطلح الاغتراب (**Aliénation**) معناه من فعل (**Alienare**) اللاتينى ويعنى تحويل شىء لملكية شخص آخر، أو الانتزاع والإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو (**Alienus**) أى ينتمى إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ (**Alius**) الذى يعنى الآخر سواء كان اسم أو صفة، ثم تعددت استخدامات هذا المصطلح، ليشير الى الاغتراب الداخلى والاغتراب الدينى، ثم اتسع ليشير لاغتراب الذات عن واجباتها (۱۰) وقد كان لليونانيين محاولاتهم الخاصة فى تحديد هذه المفهوم اذ (كانوا يُريدون بالاغتراب حرمان الإنسان من حقه الطبيعى أو القانونى، وكان أفلاطون ? الذى اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه، ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمُها الفلاسفة حتى يتحقق العدل- يَقصد به ابتعادَ الإنسان عن عالم المُثل، وعيْشه فى عالم أرْضى طارئ بدون إرادته). (۱۱) ويعد الاغتراب عند هيجل اعتزالا دينياً (طبْقاً للتصوُّرات المسيحية عن الخَطيئة والسقوط والطرْد والحِرْمان، وهذا المعنى سيتعمَّق أكثر لدى الهيجليين الشبان؛ من أمثال باور (۱۷۹۲-۱۸۶۰م)، وفيورباخ (۱۸۰۴-۱۸۷۲م)، وشتراوس(۱۸۰۸-۱۸۷۴م). يرى فيورباخ أن الكشف عن الاغتراب لا يتم إلا من خلال فلسفة الدين. فالاغتراب ?أساساً- هو الاغتراب الدينى، والاغتراب الدينى هو أساس كل اغتراب فلسفى أو اجتماعى أو نفسى أو بدنى)*

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

ویری أریک فروم إن الاغتراب (نمط من التجربة یعیش فیها الإنسان کشیء غریب، ویمکن القول إنه أصبح غریبا عن نفسه، إنه لا یعود یعیش نفسه کمرکز للعالم وکمحرک لأفعاله)(۱۲) فالإنسان وفقا لرؤیة فروم یبدع أوثانا یسجد لها وأصناما یعبدها، وهنا یکمن جوهر الاغتراب. فی عملیة الاغتراب اذ یتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لقیم المجتمع السائدة (۱۳) و یری فروم بأن الاغتراب البشری بدأ عندما انفصلت الذات المثالیة عن رحم الطبیعة المیتافیزیقیة و ذلک بسبب الأثم الذی ارتکبه الوالد البدئی (آدم) و هو تجاوزه للحدود الذی وضع له الخالق و اکله من ثمرة شجرة المعرفة. هذه المقاربة المیثولوجیة التی بدأ بها فروم هی فقط اشارة و توظیف رمزی و استعاری لأزلیة و قدم حالة الغربة و الحیرة و انه یعتقد بأن بقاءه (الفرد) منذ ذلک الزمان و لحد الآن هو تأملات و تخیلات یوتوبیة لأجل دفع الاثم علیه کی یحصل مرة اخری علی النعمة الآدنیة (اشارة الی جنة عدن) التی کان الوالد ضربها عرض الحائط و حاول رفض الوصایة علی وجوده. هذا التوظیف للرموز المیثولوجیة یعطینا القناعة بان العامل الذاتی المنبعث فی العمق الداخلی للفرد له الدور المماثل بل الاقوی فی التغییرات التی تحصل علی الشخصیة بصورة عامة. (۱۴)

وهذا التوصیف الذی قدمه فروم یترجم لنا بإمعان دقیق البواعث النفسیة للعقل الجمعی التی تدفع دائما وابدا الی الاعتزال و الشعور بالاغتراب، کما یترجم واقع الخطیئة والرفض التی مثلها الشاعر - کما سنری - فهو (یمثِّل صورةَ متطرّفة لمقاومة کل ما سنَّته الدولة من تنظیمات کما یُمثِّل الثورة علی الاستقرار)(۱۵) ویبدو ان مفهوم الدولة افرغ عند القتال الکلابی سیکولوجیا بالأبوة التی انسلخ عنها ولم یعد یشعر بها او یدین لها بالولاء والطاعة. وما یبیح لنا مثل هذا التأویل بروز الملمح العجائبی فی بعض الروایات التی تحدثت عن حیاة الشاعر وادخلتها فی نسق اسطوری عام اذ اختلطت هذه الحکایات بالموروثات الاسطوریة التی تناقلتها بکر بن کلاب قبیلة الشاعر فقد(مضی علی تحدر هذا الموروث القبلی بین اساطیر القبیلة وحکایاتها زمنا طویلا مما سمح للخیال بشیء من التزاید واعادة واعان علی ذلک تلک الطبیعة الاجرامیة التی لم تکن بعیدة عن القتال، وحفز الیه طبیعة جانب من الروایة عن الاعراب یومئذ، وهی طبیعة فضحها الجاحظ بقوله: (انهم ای الرواة کما کان الاعرابی اکذب فی شعره کان اطرف عندهم وصارت روایته أغلب ومضاحیک حدیثه اکثر)فاذا استأنسنا بهذا الرای لم نبعد فی الاستنتاج اذا ظننا ان اخبار القتال قد واجهت شیئا من هذه المظاهر (۱۶)

نوازع القلق ومظاهر الاغتراب عند القتال الکلابی:

تظافرت عوامل کثیرة علی تعمیق شعور الاغتراب عند الشاعر منها عوامل مباشرة واخری غیر مباشرة نستطیع اجمالها بما یأتی:

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

١- التناشز الاجتماعى وصراع الحضارة و البداوة:

ولد القتال الكلابى عبيد بن مجيب بن المضرحى الكلابى أواخر العصر الجاهلى، وعاش فى الإسلام حتى أيام عبد الملك بن مروان وقد شهدت هذه الفترة التى عاشها الشاعر - والتى تمتد الى اكثر من نصف قرن - تبدلات اجتماعية كبيرة تحولت معها بعض الاقاليم والامصار العربية التى تحيط بها الى مدن واسعة الثراء فاحشة الترف بما خلفه الصحابة من اموال طائلة وثروات كبيره جلبوها من البلدان المفتوحة، فقد كانت تفد على مدن مثل مكة والمدينة اموال الخراج والغنائم والجزية التى فرضها المسلمون على الامم والبلدان المفتوحة، وقد لحق هذا الثراء ظهور المباهج والزينة والبناء والقصور فقد طعموا وشربوا فى اوانى الذهب والفضة ولبسوا الخز والديباج والاستبرق والحلل الموشاة وغالوا فى ذلك كثيرا(١٧) قبال ذلك لم تتغير بعض الاقاليم وبقيت على سيرتها الاولى بما عليها من شظف وامحال، ومن تلك البقاع اقليم نجد موطن البداوة والتصحر الذى نشأ فيه القتال الكلابى قبل ان يتحول الى طريد فى مفازات الجزيرة واغوار وديانها الموحشة. فمثل هذا التفاوت الاجتماعى لا بد ان يترك اثره البالغ وبصماته الواضحة على شخصية القتال الكلابى (١٨) خصوصا وان الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاكرم وانتهاء الفترة الراشدة صارت تفرض سيطرتها على القبائل البدوية بالقوة العاتية وتتجاوز معها حد الاعتدال فى الاعمال الشاقة التى كانت تجبر عليها القبائل البدوية ومن بينها كلاب التى فرضت عليها اعمال (السخرة) فى مناجم المعادن والذهب القريبة من ديارها (١٩)

ان هذا الفقر المدقع الذى بليت به القبائل البدوية ولد حالة من التفاوت الطبقى الذى يصطلح عليه فى علم الاجتماع التناشز الاجتماعى وهو ما يرادف كل تغير يقع فى المجتمع وكلما كان التغيير اكبر و أسرع كان التناشز الاجتماعى اشد و أكثر تنوعاً. وسبب التناشز إن عناصر التراث الاجتماعى لا تتغير كلها على وتيرة واحدة أو بسرعة واحدة فمنها ما يتغير بسرعة وعلى درجات متفاوتة وهذا يؤدى إلى ظهور بعض المشاكل الاجتماعية، والتى ظهرت بشكل بارز فى اوائل العصر الاموى فقد كانت حياة معظم العرب واقعة تحت تأثير القيم البدوية بينما كانت حياتهم الفكرية متأثرة بالتعاليم الاسلامية، فكانوا يشعرون فى باطن انفسهم بالتناقض بين ما يفعلون وما يقولون وقد ادى هذا الوضع المتناقض الى صراع نفسى من ناحية، والى قلق اجتماعى من ناحية اخرى (٢٠) لذلك لم ترفض تلك القبائل سياسة الدولة التعسفية فقط وانما رفضت التحول الاجتماعى برمته لأنه كبلها وكبت روح التحرر عندها لذلك نفرت من نظم الدولة وترى فى انعامها وحياتها الرعوية ما هو اجدى من العمل والخضوع لسلطان الدولة القهرى (٢١) ولو تقصينا قصائد الشكوى والتضرع التى بثها بعض الشعراء البدو طلبا للعون والاستغاثة لتبين لنا ذلك الامر على اكمل وجه. وما شكاية الراعى النميرى لعبد الملك من تعسف المصدقين الظالمين الا صورة مختزلة لذلك الواقع (٢٢) اذ يقول:

إنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ حينَ بَعَثْتَهُمْ =وَأَتَوْا دَوَاعِيَ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولاَ
إنَّ الَّذيـــنَ أمَرْتَهُمْ أنْ يَعْدِلُوا =لمْ يفـــعلوا ممّا أمرتَ فتيلا
أخَـذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ = الأَ صـــبَحِيَّةِ قَائـماً مَغْلُولاَ

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

حَتَّـــــى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعظَامه = لـحمًا ولا لفـــؤاده مـــعقولا
نسىَ الأمـانةَ منْ مـخافةِ لقّحٍ =شُـمُسٍ تَرَكْنَ بِـضَبْعِه مَجْزُولاَ
كَتَـــبَ الدُّهَيْمُ وَمَا تَجَمَّعَ حَوْلَهَا =ظُلـْماً فَجَاءَ بِعَدْلِهَا مَـعْدُولاَ
وَغَدَوا بِصَكِّهِمُ وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ =مـــنهُ السِّياطُ يراعةً إجفيلا
مـــتنْ عَـــاملٍ مِنْهُمْ إذَا غَيَّبَتْهُ =غـــــالى يريدُ خيانةً وغلولا
خـــربَ الأمانةِ لوْ أحطتَ بفعله = تَرَكْتَ مِنْهُ طَابِقاً مَفْصُولاً(٢٣)

لذلك يذهب الدكتور حسين عطوان الى القول أن الظلم السياسى كان أكبر مشكلة استولت على تفكير الصعاليك، وان مشكلتهم الرئيسة الفقر الذى سعَوا للتغلب عليه بالاغتصاب والانتهاب (٢٤)

لذلك اسهمت سياسة الدولة المتعسفة والتبدل الاجتماعى فى رسم ملامح الشاعر وتشكيل شخصيته المغتربة و زيادة حدّتها (فالأزمات التى يمر بها المجتمع قد تُريد الضغوط الحياتية للفرد مما يؤثر ذلك على بعض اهدافه الحياتية التى خطط لها فى وقت مضى اذ يصعب عليه بلوغها مما يُعرضه لأحباط وعدم الرضا عن حياته كما ان غياب مصادر الاسناد الاجتماعى، اثناء تلك الازمات من المُمكن ان يبعث على الاغتراب ولعل من الاسباب الاخرى الباعثة على الاغتراب ضعف الإندماج بين الفئات على مراكز القوة والسلطة فى المجتمع)(٢٥)

وهُناك ابعاد كثيرة للغربة، وهى الغربة النفسية والاجتماعية والفكرية والمكانية، ويمكن تحديد مفهوم الاغتراب إجرائياً. . (بأنه اضطراب نفسى ينشأ من نبرات الشاعر التى يمرّ بها مع نفسه ومع الأخرين ولا تتصف بالتواصل والرضا ويُصاحبها العزلة والاحساس بالتمرد والرفض والتشاؤم الامر الذى يؤدى بهِ الى الاستسلام، والابتعاد عن الاهل والأوطان) (٢٦)

ثانيا: التأرجح بين الذات والقبيلة:

كانت نفسيه القتال الكلابى متأرجحة بين الوعى بقيمة الانتماء لقبيلة كليب - التى يفتخر بصراحة نسبه فيها - وبين الشعور بالضياع والحزن والتمرد على تلك القبيلة التى لفظته اذ يقول:

انا ابن اسماء اعمامى لها وابى اذا ترامى بنى الاموان بالعار

لا ارضع الدهر الا شدى واضحة لواضح الخد يحمى حوزة الجار (٢٧)

و يصرح فى مكان اخر عن نزقه وشعوره بالاسى لأنه ينتمى الى هذه القبيلة التى لم تحفظ له كرامته ويتمنى لو انتسب الى قبيلة اخرى اكثر عزة و كرامة اذ يقول:

يا ليتنى والمنى ليست بنافعة لمالك او لحصن او لسيار

طوال انضية الاعناق لم يجدو ريح الاماء اذا راحت بأزفار(٢٨)

واحيانا نراه يصيح فى وجه تلك القبيلة صياح اليائس الذى يرى فى انتسابه لقبيلته كلاب حتمية جائرة يتمنى استبدالها بقبيلة اخرى اذ يقول:

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

هل من معاشر غيركم ادعوهم فلقد سئمت دعاء يا لكلاب(۲۹)

وبواعث هذا الشعور تولد عند القتال بعد تخلی قبيلته عنه اثر جريمته النكراء التی كان سببها ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبيد الله، فقد تعلق بها وصار يلتقيها خلسة بعد غياب اخيها زياد بن عبيد الله. فلما قدم فی احد الايام رأی القتال يتحدث إليها، فنهاه وحلف: لئن رآه ثانية ليقتلنه. فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها، فأخذ السيف وبصر به القتال، فخرج هارباً، وخرج فی إثره، فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم، فلم يلتفت إليه فبينما هو يسعی، وقد كاد يلحقه، وجد رمحاً مركوزاً – وقيل سيفاً – فأخذه وعطف علی زياد فقتله. ثم خرج هارباً، وأصحاب القتيل يطلبونه حتی استقر به المقام لائذاً بجبل يقال له عماية فأقام فی شعب من شعابه (۳۰) فكان لهذه الحادثة اثر بليغ فی حياته اذ فقد بسببها قبيلته التی كانت تعنی فی ذلك الزمان الشی الكثير فهی المأوی والحجر الذی يلوذ به وقت الشدائد. ويبدو ان القتال كان يأمل من قبيلته الصفح بعد هذه الجريمة التی حاول تبرير حدوثها واظهار الندم مرات عدة فی قصائده اذ يقول:

نهيت زياداً والمقامة بيننا. . . وذكرته أرحام سعر وهيثم

فلما رأيت أنه غير منته. . . أملت له كفی بلدن مقوم

ولما رأيت أننی قد قتلته. . . ندمت عليه أی ساعة مندم (۳۱)

غير ان هذه الكلمات وغيرها لم تجد نفعا ولم ينصت لها ابناء عمومته الموتورون كما ان عساكر الدولة صارت تطلبه وتبحث عنه فی كل مكان حتی قيل انها خصصت جعلا لمن يقتله او يدل عليه. وامام هذه التحديات الجسام وجد القتال الكلابی نفسه مغتربا فی شعب الجبل لا تؤانسه سوی الوحوش والكواسر اذ تقول بعض الروايات ان القتال اثناء مقامه فی عماية الف نمرا فكان القتال اذا ذهب ليشرب قام النمر يحميه حتی يروی، واذا ذهب النمر ليشرب قام عليه القتال رقيبا حاميا، وكان النمر يصطاد الاروی ويلقيها بين يدی القتال فيأخذ منها ما يكفيه ويدفع الباقی الی النمر كما كان القتال يخرج فی الصيد احيانا فيصيب ما يكفيه منه ويلقی ما فضل عن حاجته لصديقه الوحشی (۳۲) وهذه القصة ورد ذكرها بإسهاب فی قصيدته:

كلانا عدو لو يری فی عدوه مهزا وكل فی العداوة مجمل

تضمنت الاروی لنا بطعامنا كلانا له منها سديف ومأكل(۳۳)

ونجد ما يماثل هذه المعانی التی تضمنتها قصيدة القتال فی اشعار الصعاليك فی الجاهلية والاسلام فهم يفضلون الوحوش علی اهلهم كونها – كما يعتقدون – تحمل من العاطفة اكثر من مما يحمله البشر. وذلك امر طبيعی لما عانته هذه المجموعة من عزلة واغتراب اذ يقول الشنفری

وَلِی دُونَكُمْ أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِی بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وَكُلُّ أَبِیٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِی إذا عَرَضَتْ أُولَی الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ(۳۴)

وهذا إقرار صريح وواضح، من الشنفری الذی ربط ألفة بينه وبين الذّئب، والضبع، وله مع الوحوش حكايات وأحاديث حميمة، إذ أصبحوا قومه وعشيرته الجدد؛ مستودع أسرار الشنفری (۳۵)

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

إذْ صار الذئب والأسد، معادلينً موضوعيين فی صورته الشعريۀ، التی يری من خلالها أعزّ أصحابه (الصعاليک)، وأقربهم إليه - من بنی الإنسان- ويضفی عليهم صورۀ الفُتوّۀ، والنّور، والضياء(۳۶) كما فی قوله:

سَراحينُ فِتْيانٌ كأنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أوْ لَوْنٌ مِن الْماء مُذْهَبُ (۳۷)

وهذه الالفۀ التی جمعت بين الانسان والحيوان حتی لو اسقطناها علی الصعاليک انفسهم وجعلنا من الحيوان الوفی معادلا موضوعيا للإنسان الصعلوک تبقی تلک الصور التی نسجها خيال الصعلوک ضربا من الخيال الجامح الذی يعبر عن (خرق محرّمات القبيلۀ وحرماتها، ومقدّساتها وطقوسها، والتمرد علی سلطتها، ونبذ هيكل تنظيمها، ومؤسسات مجتمعها، ثم البحث عن مشروع مجتمع جديد، لا تذوب فيه فرديۀ الإنسان، وَلا تضمحلّ شخصيته فی رموز القبيلۀ وأسيادها، ولذا نجد فی شعر الصعاليک، - معظمه – النفور من ضمير (الهو)، وصيغۀ الجمع (النحن)، إلی ضمير (الأنا)، وإن استُعمِل فی صيغۀ الجمع، فليس للذوبان فی الجماعۀ، وإنّما قصد التجمّع ولمّ الشتات، ولكنّ الصعلوک فی آخر المطاف، يُبقی علی تفرّده وفرديته وذاته، بجسده وغريزته وانفعالاته، وليس ذلک الإنسان الذی تضبطه قوانين الآخر، فينصاع لأوامره ونواهيه، فيحدَّد بمكان، ويُقيّد بزمان، وإنّما ينشد حركيۀ الزمان واستمراريته نحو المستقبل، مصيره مرتبط بالطبيعۀ، وليس بالقبيلۀ، فهو انفصام مكانی، وتميّز عن الآخر)(۳۸)

وبالعودۀ الی قصيدۀ القتال الكلابی لا نجد فيها ما يومئ الی التآلف والصداقۀ التی ابدعتها كتب الادب وبعض الشروحات التی تناولت القصيدۀ، وانما فيها تصوير اللقاء بين اثنين متعاديين كلاهما يحذر شر الاخر ويحذر منه و يتوقاه (۳۹)

وكما يقول احسان عباس (فقد كفانا الجاحظ مناقشۀ هذه الاسطورۀ حين قال: واذا استوحش الانسان تمثل له الشیء الصغير فی صورۀ الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه. أی ان هذه القصۀ التی تحدث بها القتال فإنها دليل علی ما اصاب اعصابه من اضطراب وما داهم ذهنه من تفرق)(۴۰)وهذا الامر يحيل الی ما ذكرناه سابقا وهو ان الاغتراب يفضی الی ضعف القدرۀ علی التكيف مع المجتمع وقد يتبع هذا الاحساس تخيلات وحدس منعش وهذيان وغير ذلک من التداعيات النفسيۀ.

صدی الاغتراب فی أشعار القتال الكلابی:

جسدت بعض النصوص الشعريۀ التی انتجتها قريحۀ القتال الكلابی صورا واضحۀ لقهر الاغتراب، ويبدو ان طبيعۀ الشعر - بشكل عام - تستأهل هذا الامر(لأن كل شعر هو تدفقات صوريۀ، لا محدودۀ، وتخليقات شعوريۀ ولا شعوريۀ تأتی فی لحظۀ غياب الشاعر عن واقعه الحسی. فكل شعر – إذن- نوع من العلو المغترب فی وقت الخلق الشعری)(۴۱). يضاف الی ذلک العوامل الظروف الماديۀ والاسباب الشخصيۀ التی تحدثنا عنها سابقا وبلا شک ان هذه الظروف والاسباب تلعب دورا كبيرا فی تغذيۀ مضامين الشعر، وتحديد اتجاه الشعر او تغييره، وتتداخل العوامل تداخلا معقدا، الی الحد الذی تصبح فيه عمليۀ فرز الاسباب الرئيسيۀ عن

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

الثانوية فى تحديد نوع المؤثرات (المغربة) من اشق العمليات التحليلية، لان نفس الشاعر المرهفة، والشديدة الحساسية، تكبر فيها الانفعالات او تصغر، خارج امكانات القياس الاعتيادية. فاستجابات الشاعر، وردود فعله، ليست بالأمر الذى يسهل تعين حدوده(۴۲) ومن هذه الردود التى تعكس نزق القتال الكلابى وانعدام التواصل بينه وبين قبيلته اذ (يعى وجوده بوصفه كيانا منفصلا عن الآخرين، وانه ما عاد منتميا نفسيا الى المجتمع)(۴۴) اذ يقول:

هل من معاشر غيركم ادعوهم فلقد سئمـــــت دعاء يـــال كلاب

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا لحنا ليس بالمرتاب (۴۳).

ونلمح فى البيت الثانى قوله: (ولقد لحنت لكم) أى بينت لكم بواضح القول وفصيحه لكن دون جدوى فانتم لا تلبون المستغيث ولا تعبئون بقوله فهو يعزو اللوم إلى قبيلته التى تضببت عندها الرؤية وفقدت البوصلة فى تحديد الركب حادت عنه وليس هو من أصبح يبحث عن هوية وانتماء جديدين لذلك استحضر الشاعر فى بعض ابياته احيازا بديلة استعاض بها عن مجتمعه (القبيلة) اذ يقول:

جزى الله خـــيراً والجـــــزاء بكفه عَمَايةَ عنّا أُمَّ كل طريد

فلا يزد هيها القومُ إن نزلوا بها وإن أرسل السلطان كل بريد

حمتنى من كل عيطاء عيطلٍ وكلّ صـفاً جمٌّ القِلاْت كؤُود(۴۵)

فعَمَايةَ – المكان القفر الاصم – الذى دعا له الشاعر بالخير هو المعادل الموضوعى للقبيلة والبديل الذى وجد فيه الملاذ الآمن الذى لم يجده فى قبيلته، وهذا الفقد او الاستلاب يمثل صورة من صور الاغتراب التى يجنح معها الشاعر الى نسج صور مثلى بديلة تتلبد فيما وراء الأشياء. وفى نص اخر يقول الشاعر:

سأعتب أهل الدين مما يريبـــــهم وأتبـــع عقلى مـا هدى لى أوّل

أو الحق بالعنقاء فى أرض صاحة أو الباســـقات بين غول وغلغل

وفى باحة الـــعنقاء أو فى عمايـــة أو الأدمى من رهبة الموت موئل

ولى صاحب فى الغار هدك صاحبا هو الجـــون الا انـــــه لا يـــعلل

اذا ما التقينا كان جـــل حديـــثنا صمات، وطرف كالمعابل اطحل(۴۶)

وهنا يجد الشاعر مجتمعاً خاصاً يأتلف فيه الانسان مع الوحش بعدما رفض مجتمعه بكل ما يحمل من عادات وقيم ليقيم لنفسه (يوتوبيا) معزولة عن واقعه الأليم حتى لا يتحول الاغتراب إلى جحيم لا يطاق اذ سعى الشاعر إلى تجاوزه، أو التخفيف من حدته وآثاره من خلال منهج تعويضى الذى بنى فيه عالمه الخاص الممزوج بالخيال الحالم بعدما صار عالمه الواقعى مجسدا بهذا القول المنسوب الى الشاعر:

كأن بلاد الله فيه وهى عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤدى الـــــيه، ان كـــل ثنية تيممـها توحى اليـــــه بقاتـل(۴۷)

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

*كالانقطاع عند الزهاد والمتصوفة الذين يتحدثون عن غربتهم فی هذه الدنيا.

(۱) الاغتراب فی حياة المعری وادبه، د. حسين جمعة – مجلة جامعة دمشق – المجلد ۲۷- العدد الاول + العدد الثانی ۲۰۱۱م:۲۳

(۲) ينظر:الغربة فی الشعر الجاهلی، د. عبد الرزاق الخشروم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-۱۹۸۲م: ۲۳

(۳) ينظر: الاغتراب فی حياة المتنبی وادبه:۲۳

(۴) الشعور بالاغتراب عند ابی العلاء المعری والبير كامو، عبد القادر توزان - اطروحة دكتوراه – كلية الآداب واللغات - جامعة الجزائر ۲۰۰۵ – ۲۰۰۶م:۲۴

(۵) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدی، ـ المجلد الثالث، تحقيق: عبدالحميد هنداوی ـ منشورات محمد علی بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ۱ ـ ۲۰۰۳ م:۲۷۱

(۶) ينظر: معجم المصطلحات الصوفية ـ عبدالمنعم الحفنی ـ ط ۱ ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ۱۹۸۰: ۱۸۶

(۷) لسان العرب، ابن منظور ـ لسان العرب ـ الجزء الخامس ـ باب العين ـ مادة غ ر ب ـ دار المعارف القاهرة ـ مصر ـ ط ۲ ـ ۱۹۸۱ م:۳۲۲۵

(۸) المعجم الأدبی ـ جبور عبدالنور ـ ط ۲ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ۱۹۸۴: ۸۷

(۹) الاغتراب فی الشعر العراقی المعاصر(مرحلة الرواد)- دراسة - محمد راضی جعفر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق ۱۹۹۹م.: ۵

و ينظر: غربة المثقف العربی، د. حليم بركات، م المستقبل العربی، ع ۲. تموز، ۱۹۷۸: ۱۰۶

(۱۰) إشكالية الاغتراب فی الفكر والأدب، ايمان العامری، مجلة اصوات الشمال، مجلة. عربية. ثقافية. شاملة http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=37256

(۱۱) الاغتراب، نَبْشٌ فی مفهوم مِحْوَری داخل حقل الإنسانيات، د. فريد أمعضشو، صحيفة العلم، لسان حزب الاستقلال، ۲۰۱۲/۴/۲۶م.

*- للاستزادة، يمكن الرجوع إلى (حسن حنفی: الاغتراب الدينی عند فيورباخ، عالم الفكر، ع. ۱، مج. ۱۰، ۱۹۷۹).

(۱۲) ينظر: الاغتراب عند إيريک فروم، حسن محمد حسن حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ۱۹۹۵.:۱۴

(۱۳) معادلة الاغتراب فی الثقافة العربية المعاصرة، الَحقيقة الغائبة – قراءة جديدة فی أوراق العباسيين، أ. د. علی اسعد وطفة، مجلة حركة مصر المدنية - مجلة مصرية – علمانية – ليبرالية إجتماعية

Posted on February 27, 2012

(۱۴) ذاتنا المغتربة من منطلقات فكر اريک فروم، محمد طه حسين، الحوار المتمدن- العدد: ۴۷۶۰ - ۲۰۱۵ / ۳ / ۲۷

(۱۵) ديوان القتال الكلابی:۱۰

(۱۶)المصدر نفسه:۱۱

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

(۱۷) ينظر:التطور والتجدد فی الشعر الاموی، شوقی ضيف، دار المعارف المطرية ط۸:۲۶

(۱۸)حول الاحوال الاقتصادية المتردية لصعاليک العصر الاموی ينظر: الشعراء الصعاليک فی العصر الاموی د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر القاهرة ۱۹۷۰ م.:۱۵۱

(۱۹) ينظر: ديوان القتال الكلابی: ۹

(۲۰) ينظر: وعاظ السلاطين، علی الوردی، دار كوفان –لندن، ط۲، ۱۹۹۵م:۳۶

(۲۱) ينظر: ديون القتال الكلابی: ۹

(۲۲) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحی، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية بمصر، مطبعة المدنی، القاهرة ۱۹۸۰م:۴۳۷

(۲۳) ديوان الراعی النميری، جمعه وحققه راينهرت، (بيروت، ۱۰۴۱هجرية – ۱۹۸۰م): ۲۳۶ – ۲۴۲

(۲۴) ينظر: مقالات فی الشعر ونقده، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ۱۹۸۷: ۷۳.

(۲۵) يُنظر: مجلة ابحاث البصرة (العلوم الانسانية) بحث عن طبيعة الاغتراب لبعض النصوص (قديماً وحديثاً)، العدد(۳)، ۲۰۱۱م: ۱۰۵

(۲۶) المصدر نفسه: ۱۰۶

(۲۷) ديوان القتال الكلابی:۵۴– ۵۵

(۲۸) المصدر نفسه:۵۵

(۲۹) المصدر نفسه:۳۶

(۳۰) الاغانی، ابو الفرج الاصفهانی، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة الثانية، ۱۹۸۶: ۱۴۰/۲۴

(۳۱) ديوان القتال الكلابی:۸۹

(۳۲) ينظر: الاغانی ۲۰– ۶۰

(۳۳) ديوان القتال الكلابی:۷۸

(۳۴)ديوان الشنفری، عمرو بن مالك – جمعه وحققه وشرحه: إيميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربی، الطبعة الثانية، ۱۹۹۶: ۵۹

(۳۵) المصدر نفسه: ۵۹

(۳۶)شعر الصعاليک. قراءة فی المتن، محمد بَرُّونـة، المجلة الجزائرية فی الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ع/۴۶ / ۲۰۰۹: ۳۳

(۳۷) ديوان الشنفری: ۲۸

(۳۸) شعر الصعاليک. قراءة فی المتن:۴۵

(۳۹) ينظر: ديوان القتال:۲۱

(۴۰) المصدر نفسه: ۲۱

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]

(۴۱) الاغتراب فی حیاۀ وشعر الشریف الرضی، عزیز السید جاسم، دار الاندلس، بیروت- لبنان، ۱۹۸۵م:۱۰-۱۱

(۴۲) المصدر نفسه: ۱۱

(۴۳) دیوان القتال الکلابی: ۳۶

(۴۴) الصعلکۀ والاغتراب لدی الشعراء السریان-جان دمو وسرکون بولص انموذجان، قاسم حسین صالح، الحوار المتمدن-العدد: ۴۲۹۵ - /۱۲/۴/ /۲۰۱۳

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=389782

(۴۵) دیوان القتال الکلابی: ۴۵

(۴۶) المصدر نفسه: ۷۶- ۷۷

(۴۷) المصدر نفسه: ۹۹

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-03-14]